

(من كتاب الحج وروح العبادة فيه)

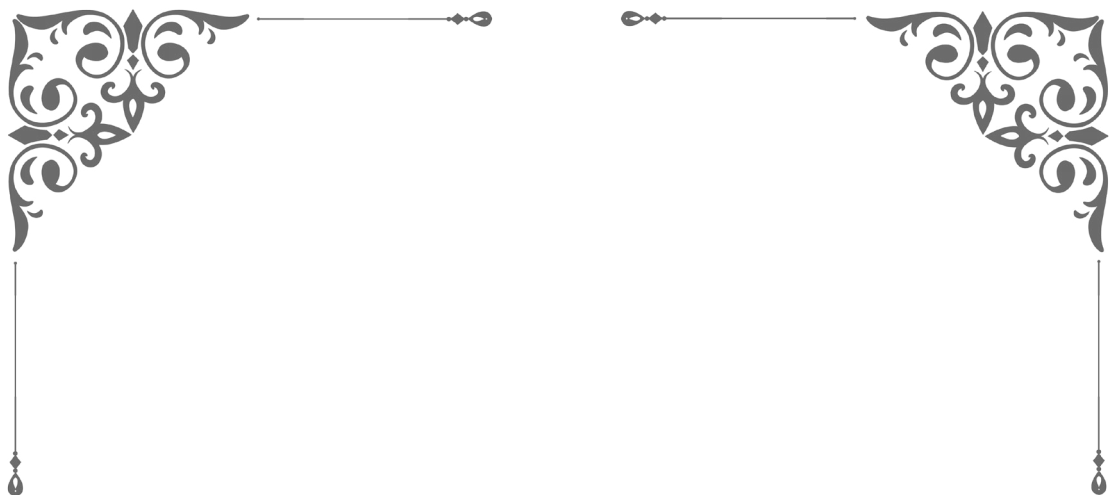
(٢)

الحجُّ فضائل وآثار

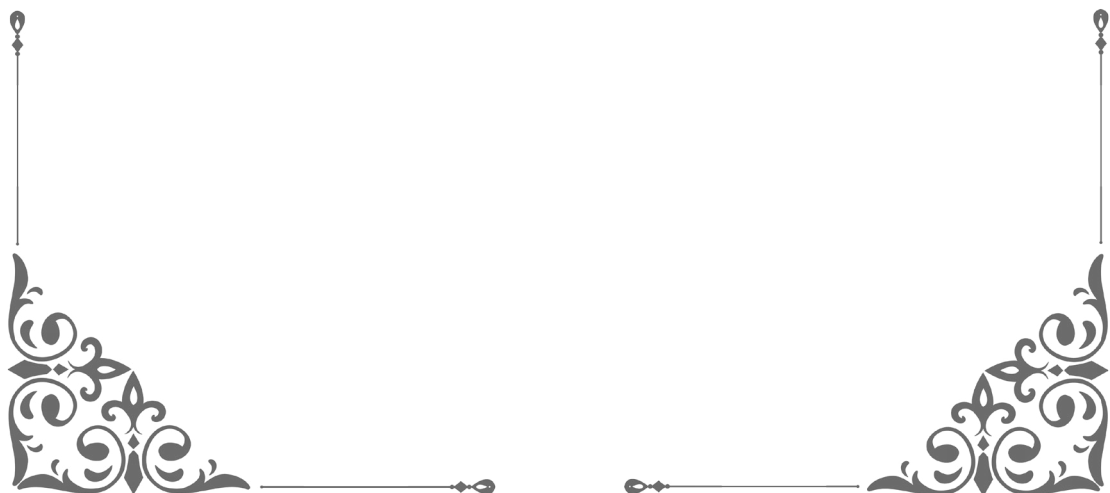


تأليف

عادل عبد العزيز الجهني



محفوظ
جميع الحقوق





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هديُّ القرآن والسُّنَّةِ ذِكْرُ فضائل الأعمال الصالحة وثمراتها؛

ليُقبلَ عليها العبادة رغبةً في إدراك تلك الفضائل والفوز بهذه الثمرات، والحجُّ كغيره من العبادات ذكر الله تعالى له فضائل كثيرة، يعرفُ من تأملها حق التأمل أنَّه لا مثيل لها، ولذا تابع العباد بين الحجِّ والعمرة، وحرصوا على الإكثار منه رغبةً في نيل هذه الأجور.

وقبل ذكر الفضائل لا بد من التنويه بركنية فريضة الحج،

ووجوبه، وخطورة تركه، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة، ولكنَّه ممَّا يُذكر به لتهاون كثير من المسلمين فيه، فتجد فيهم مَنْ قد وجب عليه الحجُّ، وتيسَّر له بما منَّ الله عليه من مال وصحة، ومع ذا يفرِّط فيه إمَّا بتركه بالكلية، وإمَّا بتأخيره من غير عذر، وهذا فعل خطير يُعرِّض صاحبه للعقوبة، والآثار في ذلك كثيرة.



فالحاجُّ يُؤدي فريضة الحجِّ لأنَّ الله أوجبه عليه، ورغبة في إدراك ما جاء فيه من فضل عظيم، واستحضاره كفيلاً بأن يُوقعه صاحبه - بإذن الله - على أحسن موقع.

والمستحضر لفضائل الحجِّ أكمل أداءً له من غيره، وأشدَّ إتقاناً له، وأحرص على إكماله؛ لأنَّه يرى فضائل على مثلها يُحرص، ويعلم يقيناً أنَّ الحجَّاج والمعتمرين في نسكهم تتباين أحوالهم، وأن مقدار ثوابهم يكون بحسب إخلاصهم وإتقانهم لهذه العبادة الشريفة.

والمتمامل في أحاديث الحجِّ الدالة على فضائله - والتي سيأتي ذكر بعضها في موضعه - يرى فيها فضلاً ظاهراً من الكريم - سبحانه - ومنة جليلة من الرحمن **عَزَّوَجَلَّ**، فإليك طائفة منها لعلها تجعلك مُعظماً لهذا النسك، مستصحباً ثوابه، مؤدياً إياه على أكمل حال.

فمن فضائله: أنه سببٌ عظيمٌ من أسباب مغفرة الخطايا ومحو الآثام، وإقالة العثرات وتكفير السيئات، وهذا عين ما يطلبه كلُّ مؤمن ومؤمنة، ويسأله كلُّ صادق مشفق من تبعات الذنوب



وآثارها وعقوبتها، يقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في فضل الحجِّ: "من حجَّ فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ، رجَع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه" ^(١)، إلا أنه قال: "غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه" واختار ابنُ حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ** (أنَّ المغفرة شاملة لغُفْرَانِ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ، وإليه ذهب القرطبي والقاضي عياض).

وإليه أيضاً مال الشيخ ابنُ عثيمين، قال رَحْمَةُ اللَّهِ: (ظاهر الحديث أنَّ الحجَّ يُكفِّرُ الكبائر، وليس لنا أن نعدو الظاهر إلا بدليل) ^(٢).

وحتى من قال بعدم تكفير الكبائر إلا أنه يرى أن لعبادة الحجِّ إذا أدت على أكمل وجه أثرها في صاحبها، قال ابن العربي: (وهذه الطاعات ربما أثرت في القلب، فأورثت توبة تُكفِّرُ كل خطيئة) ^(٣).

فعبادةُ تُكفِّرُ جميع الذنوب والمعاصي جديرةٌ بأن تُؤدَّى على أكمل وجه؛ لأنَّ هذا التكفير مشروطٌ بالبعد عن المعاصي والمحرمات كما هو ظاهر الحديث.

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي

(٢) [فتاوى ابن عثيمين: ٢١ / ٤٠]

(٣) [فيض القدير: ٢: ١٥١٥]



ومن فضائل الحجِّ: أن الله لم يرضَ للحاجِّ المؤدِّي لحجَّه على أكمل وجهٍ جزاءً لحجَّه إلا الجنة، والجنة هي غاية كلِّ مؤمن ومؤمنة، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: **"العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"** (١).

وقال القرطبي في بيان الحجِّ المبرور: (أنه الحجُّ الذي وفيت أحكامه، ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل) (٢).

ومن فضائل الحجِّ: أن خطوات صاحبه كلها في ميزان حسناته، فبكل خطوة يخطوها الحاجُّ رفع درجة أو محو خطيئة، وهذا فضلٌ عظيم لا يمكن لأحدٍ إحصاؤه، يقول رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **"ما ترفعُ إبلُ الحاجِّ رجلاً ولا تضعُ يداً، إلا كتَبَ اللهُ له بها حسنةً أو محاه عنه سيئةً، أو رفعه بها درجةً"** (٣).

(١) رواه البخاريُّ ومسلم.

(٢) [فتح الباري: ٣/٤٣٢]

(٣) رواه البيهقي، وابن حبان، وهو حديثٌ حسن.



والحديث داخل فيه - إن شاء الله - كل مر كُوب يحمل الحاجُّ،
فلعل بعض الحجاجِّ يخطو مئات الآلاف من الخطوات في سيره
للحجِّ، وكلها - بإذن الله - في موازين حسناته.

ومن فضائله: أنك - أيها الحاجُّ - واحد من الوفد الكريم الذين
سيكرمهم الله عند قدومهم إلى بيته بإجابة دعواتهم، فاستبشر
بهذه الكرامة التي خصَّك الله بها، يقول رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**
"الحجاجُّ والعَمَّارُ وفدُ اللهِ؛ دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم" (١).

فهم أجابوه لما دعاهم، وسيكرمهم بالعطاء حين يسألونه
ويطلبونه.

(ويرجع هذا الفضل إلى كون البيت منسوباً إلى الله سبحانه
وتعالى، فهو بيتُ الله في الأرض، والوافد عليه الزائر له، إنما هو
في حقيقة الأمر وافدٌ على الله تعالى زائرٌ له، وهو سبحانه أكرم
مَزُورٍ وأعظم مسؤول، بأبه لا يُغلق، وقاصده لا يندم؛ فلا يكفيه
سبحانه الإكرام لحظة دخول الزائر بيته، وإنما بمجرد خروجه
من مكانه الذي هو فيه، قاصداً البيت العتيق، أصبح في ضيافة الله

(١) رواه البزار، ورواته ثقات، وهو حديثٌ حسن.



تعالى، فكان الطريق إلى الله تعالى رفعا لدرجاته وخطا لخطاياها، وأجّلت الجائزة الكبرى والمنحة العظمى إلى رحلة العودة، فلا يعود من زيارته ربه سبحانه وتعالى إلا قد رجع كما ولدته أمه)

واقرأ معي - أيها الحاجُّ الموفق - هذا الحديث العظيم في معناه،

الجليل في بشائره لكل حاجٍ قصد وجه الله في حجه، وسينبئك عن فضل الله على عباده المؤدّين لهذه العبادة، وكرامته لهذا الوفد المبارك، الذين تركوا الأهل والأوطان يبتغون فضل الله وكرامته، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف، فسلما، ثم قالا: يا رسول الله، جئنا نسألك. فقال: "إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت، فقالا: أخبرنا يا رسول الله، فقال الثقفى للأنصاري: سل، فقال: جئني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام، وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشيّة عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار وما لك فيه، وعن تحريك وما لك فيه،



مع الإفاضة، فقال: والذي بعثك بالحق، لعن هذا جئتُ أسألك، قال: فإنك إذا خرَّجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لا تضع ناصيتك خفاً، ولا ترفعه، إلا كتب الله لك به حسنةً، ومحا عنك خطيئةً، وأمَّا ركعتاك بعد الطواف؛ كعتق رقبة من بني إسماعيل، وأمَّا طوافك بالصفا والمروة؛ كعتق سبعين رقبةً، وأمَّا وقوفك عشيّة عرفة؛ فإن الله يهبُ إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة، يقول: عبادي جاؤوني شعثاً من كل فج عميق يرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر، لغفرتُها، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم، ولمن شفعتم له، وأمَّا رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفيرٌ كبير من الموبقات، وأمَّا نحرُك؛ فمدخورٌ لك عند ربك، وأمَّا حلاقك رأسك؛ فلك بكل شعرة حلقتها حسنةً، وتُمحى عنك بها خطيئةً، وأمَّا طوافك بالبيت بعد ذلك؛ فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملكٌ حتى يضع يديه بين كتفيك، فيقول: اعمل فيما تستقبل؛ فقد غفر لك ما مضى" (١).

(١) رواه الطبراني، والبيهقي، واللفظ له، وهو حديث حسن.



وهذا حديث لو أفرد في بيان فضله مصنف لما كفاه، فكم فيه من فضائل لكل عمل من أعمال الحاج، وكم فيه من عطايا تفضل بها ربنا الرحمن.

ومن فضائل الحج: أن من مات فيه كُتِبَ له أجرُ الحاجِّ إلى يومِ القيامةِ، وهذا - كما ترى - فضلٌ لا مثيل له، وعلى مثله يُحرص، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْغَازِيِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"^(١).

قال أهل العلم: ومسألة الثواب على العمل الصالح أمره إلى الله تعالى، فلا يدخله قياس.

وقد جاء الحثُّ على المداومة على الحجِّ والعمرة، وبيّنت الأحاديث فضائلها يقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ مِتَابَعَةً بَيْنَهُمَا تَنْفِي الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"^(٢).

(١) رواه أبو يعلى، وقال الألباني صحيح لغيره.

(٢) وهو في صحيح النسائي.



وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "تابعوا بين الحجِّ والعمرة، فإنَّهما يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذَّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"^(١).

فهنيئاً لنفس شغفت حباً في الحجِّ والعمرة، فتابعت بينهما بحيث لا تكاد تنقطع عنهما رغبةً في أجرهما، وحياسة فضائلهما.

وفي هذا الحديث: مشروعية المتابعة بين الحجِّ والعمرة، لا كما يقول من قلَّ فقهه في هذه العبادة، ويضع أَعْدَاراً وَحَجَّجاً واهية في المتابعة بين الحجِّ والعمرة، واعتراضاً لمن يُتابع بينهما، وقد يسّر الله له السبل والأسباب.

ومن فضائل الحجِّ ما جاء في حديث ماعز التميمي قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدَهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجَّةُ بَرَّةٍ تَفْضُلُ سَائِرَ الْأَعْمَالِ كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا"^(٢).

(١) رواه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان في "صحيحيهما"، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) وهو في صحيح الجامع.



وقوله: "ثُمَّ حَجَّةٌ بَرَّةٌ تَفْضُلُ سَائِرَ الْأَعْمَالِ كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا" قال المناوي: (مبالغةً في سموها على جميع أعمال البرِّ) (١).

ففيه الإشارة إلى فضلها على كثير من الأعمال، (ولذا لما سُئِلَ بعض السلف عن المفاضلة بين الحج وبين الأعمال الصالحة، أجاب السائل:

أين أنت من الطواف والسعي!؟

أين أنت من الوقوف في عرفة!؟

أين أنت من المبيت بمزدلفة!؟

أين أنت من رمي الجمار!؟)

والمعنى أنك لا يمكن أن تُدرك فضل هذه الأعمال الصالحة

إلا في الحجِّ، فليست ثمَّ عبادةٌ فيها الوقوف بعرفة إلا الحجِّ، وليس مبيت هو عبادةٌ إلا في مزدلفة، وليس هناك عبادة تُرمى فيها الجِمار إلا عبادة الحجِّ، فخصَّ وفضَّل عن غيره بمثل هذه العبادات التي لا تفعل إلا فيه.

(١) فيض القدير: [٢: ١٥١٠]



ولمَّا كان كثيرٌ من أفراد الأُمَّة يعجزون عن الجهاد في سبيل الله - والذي هو ذروة سنام الإسلام، وأجوره عظيمة جداً، ولكنه يحتاج إلى قوة وشوكة - جعل الله لهم من الأعمال ما يُعوضهم عن ذلك، بل ربما وصل إلى ثوابه، ففي حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنِّي جبانٌ وإنِّي ضعيفٌ. فقال: "هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ لَا شَوْكَةَ فِيهِ؛ الْحَجُّ" (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، نرى الجهادَ أفضلَ الأعمال، أفلا نجاهد؟! فقال: "لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ؛ حَجٌّ مَبْرُورٌ" (٢).

فهذه بعضُ الفضائل للحجِّ تُنبئُ الحاجَّ عن عُلوِّ منزلته وكثرة أجوره، وتُرغِّبه فيه، وتجعله يسعى جهده في إيقاعه على أكمل وجه وأتمه رغبةً في إدراكها.



(١) وهو في صحيح الترغيب.

(٢) رواه البخاري.